

(١) الوعظ القصصى

تلخيص الأستاذ سيد ابراهيم

قال لى صاحبي و هو يحاورنى

«لقد نكبتنا و زارة الأوقاف حين احتكمت علينا أن نؤلف خطباً و نسجلها فى الدفاتر».

قلت : «لقد أسدت إليكم معروفاً أى معروف !»

قال : «أنى مقدورى أن أعظ وأن أخطب».

قلت : «ولم لآء».

قال : — «إنى لأعجز عن تسجيع جملتين اثنتين فى يوم واحد».

قلت : — «و ما شأن هذا بالخطابة».

قال : — «و كيف تكون خطابة بلا سجع».

قلت : — «بل كيف يكون سجع و خطابة».

قال : — «أمر كعجيب».

قلت : — «أمر ك أعجب».

قال : — «دع المزاح جانباً و خذ فى الجدة».

قلت : — «انى لأمزح» و هل تسمى الصدق مزاحاً؟ إنك تصور الخطابة

تصوراً فاسداً خاطئاً، و هذا التصور و حده هو علة عجزك عن القيام بها، إن الوعظ

أيسر مما تظن بكثير

إن كل أمر بالمعروف و كل نهى عن المنكر هو وعظ له قيمته و خطره

فاذا سرت فى الطريق و رأت حادثة من الحوادث—خيراً كان أو شراً—فقصصته

على مستمعيك مثبته على جانب الخير مندداً بالجانب المردول حاثاً الناس على الاقتداء

بالأول و محذراً إياهم من الوقوع فى الثانى. فقد أحسنت و أجدت و كنت الخطيب المقوه

و الواعظ المرشد الأمين

(١) خلاصة المحاضرة التى ألقاها الأستاذ كامل كيلانى فيها بجمعية مكارم الاخلاق

الاسلامية

وبهذا تكون قد قدمت للناس أمثلة يقتدون بها وأمثلة يحذرون الوقوع فيها ،
ووعظتهم بما حدث لسواهم من خير وشر
« والسعيد من وعظ بغيره واشتقى من وعظ بنفسه ،

قال : —

« ما كنت أحسب الوعظ بهذه السهولة ،

قلت : —

« إن سوفهم كثير من الخطباء معنى الوعظ هو علة تخبطهم فيه وعجزهم عن القيام به ،

* *

قالوا: إن مربية أولاد لويس الرابع عشر طلبت إلى أحدهم — وكان صغير السن — أن يكتب كتاباً إلى أبيه — وكان بعيداً عنه

فقال لها مدهوشاً : —

أني قدرتي أنا أن أكتب كتاباً

فقالت له : —

هب أباك حضر فماذا أنت قائل له ؟

قال : —

أقول له لقد أوحشتنا واشتقنا لرؤيتك !

قالت : —

فاكتب له هذا .

ثم قالت له : —

قل له إن البيت يحترق !

فقال لها : —

هذا كذب !

قالت : —

« قل له إذن إن الخادم تنظف غرفة الاستقبال ،

قال : —

« وهذا خبر نافه . »

قالت : —

لقد عرفت الآن كيف تكتب الكتاب ، فليس يكلفك ذلك أكثر من ان تكتب ما تشعر به مبتعداً عن الكذب وعن الحقائق النافية !
وهذه أيها السادة هي وظيفة الخطيب تماماً

* *

وفي إحدى روايات «مولير» نرى أحد الموعزين بالدرس — على كبر — يشرح له معلمه النظم والنثر، فيقول له —

النظم هو الكلام الموزون المقفى

فيسأله : وما النثر ؟ فيقول له : —

هو ما تتكلمه الآن

فيقول : «وا عجباً ، إذن فأنا أتكلم النثرار بعين سنة وأنا لا أدري!»

* *

ولعل أكثرهم سيدهش أيضاً حين أقول له إنك كثيراً ما تكون خطيباً — عن غير قصد منك — وإنك تكون واعظاً بليغاً كلما قصصت على إخوانك أو أهالك أو طلبتك قصة بليغة ذات مغزى حكيم !

ولعل أسر وأبلغ طريقة يتبعها الواعظ في بيته وطريقه وعلى منبره ، هي ضرب الأمثال ورواية القصص .

ولقد فرغ رجال التربية من التدليل على أهمية الأمثال والقصص ، وقد سبقهم القرآن الكريم إلى ذلك ، فقال :

« وتلك الأمثال نضربها للناس »

وقال : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت

من قبله لمن الغافلين »

ولقد بلغ ولوع بعض الناس بالأسلوب القصصي حداً عجيباً

أذكر لكم ان مدرساً فاضلاً من مدرسى العربية كان يدرس لنا — فى مدرسة أم عبلس الابتدائية — وكانت نتائجه أبهر النتائج وتلاميذه أقوى التلاميذ ، وكان السر فى ذلك هو اسرافه فى حب القصص ، وقد بلغ به ولعه بالأسلوب القصصى حداً مدهشاً جعله يشرح لنا فى قواعد اللغة ، وأثر كان وأخواتها وأثر إن وأخواتها بأسلوب قصصى جذاب يجذب فى النحو أزهّد الناس فى النحو .

وكثيراً ما لجأ أبى — فى تربيتى — الى ضرب الامثلة والقصص
أذكر لكم أن بعض أشقياء الصبية أغرانى بتسلىق الترام وأنا صغير ، فرآنى أبى وأنا
أفعل ذلك ، ولم اره

فلما عاد الى المنزل قال لى — :

لقد حدث اليوم يا ولدى أمر عجيب ، فقد هوى ولد شقى تحت عجلات الترام فقطعته
شطرين ، وظل الناس يلعنونه ويلعنون أهله :

« وهنا ذكرت لك يا ولدى فخدمت الله على حسن أدبك وبعذك عن هذه الدنايا ،
اقول لحضراتكم ان الأرض كادت تغوص بى وكان هذا آخر عهدى بهذا
العمل الممقوت .

وفى ذات يوم قلت له — وكنت طفلاً — :

انى لأخشى العقاريت والحشرات المؤذية حين اصعد سلم البيت فى ظلام الليل .
فقال لى — :

من الذى يحرسك وانت نائم

قلت — : هو الله

قال — : اتظن ان من يحرسك نائماً لا يحرسك وانت يقظان ؟

فكان ذلك آخر عهدى بالخوف ايها السادة

ولقد قرأ لى أبى كثيراً من القصص فى فجر حياتى ، لا أزال مديناً لها — الى الآن —

بما يظنه فى بعض من يحسنون الظن بى من خيال وأدب

ليست وظيفة الواعظ منحصرة في أن يقول « اتقوا الله واخشوا عذابه واحذروا ناره في كل أسبوع بعبارات مختلفة وأن يقول :
وعباد الله »

أوصيكم وإياي بطاعته ، واحذركم وإياي من عصيانه ومخالفة أمره إلى آخر هذه الكليشيات والعبارات المحفوظة حفظاً واجل المرصوفة رصفاً .
ولكن وظيفته تنحصر في أن يحسن التعبير عما يشعر به من خوالج وعواطف صادقة . ولو كنت خطيباً في مسجد ، لما صعب على أن أهتدي إلى موضوع صالح — كل يوم — فضلاً عن كل أسبوع

أمامي الحياة اليومية أقتبس منها ألف مثل مما أراه في الطرقات وغيرها .
أمامي التاريخ الحافل بالعظات والعبر والمثل العليا

موقفه أصدر

خذ مثلاً على ذلك موقفه أحد
فهي وحدها تصلح موضوعاً لعدة خطب
(١) عاقبة المخالفة

كان النصر محققاً للمسلمين في بدنها
فلما خالفوا أمر النبي (ص) وانتقلوا من مواضعهم كر عليهم المشركون وقتلوا
منهم عدداً كبيراً فيهم حمزة عم النبي (ص)
واستطاع العدو أن يخلص إلى النبي (ص) فيرميه بالحجارة
قالوا — : ووقع لشقه

فأصيبت رباعيته وشج وجهه وكلبت شفتاه ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر
في وجهه وسقط في إحدى الحفر التي حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون الخ
ليس هذا موضوعاً جليلاً يبين لنا عاقبة المخالفة !

(٢) وفاء الصحابة

وفي هذه الموقعة يتجلى لنا مثل عال من امثلة الاخلاص والتفاني في الوفاء . إذ يقبل
الصحابة على النبي مستبسلين يمدونه بأرواحهم

يأخذه على يده

ويرفعه طالحة بن عبيد الله

ويحيط به جماعة من الأنصار والمهاجرين ليقوه السوء بنفوسهم .

وتجلى شجاعة المرأة العربية واضحة فلا تقل عن شجاعة جان دارك التي لا يكاد

يخلو من ذكرها كتاب ، والتي ملأوا الدنيا إعجابا بها

تحاز أم أم نسيه بنت كعب إلى النبي (ص) وتنفاني في الذود عنه

— وكانت تسقى الماء في أول النهار فلما رأت هزيمة المسلمين ، أسرعت إلى النبي

تقدته بنفسها ، ضاربة بسيفها مرة ورامية عن قوسها أخرى حتى أنجتها الجروح .

أتريدون أمثلة أخرى من هذه الموقعة؟ لو شئتم لما وقت الليلة كلها إذا قصرناها

على هذه الموقعة وحدها ، فلنجزئ بذلك فيه الكفاية . أتريدون أمثلة على فضل الصبر

فضل الصبر

صبر الصحابة

كان (النبي) يذكر يوما مالقى من قومه من الجؤد والشدّة . قال .

لقد مكثت أياما وصاحبي هذا (يشير الى أبو بكر) بضع عشرة ليلة ما لنا فيها

من طعام إلا البرير (ثمر الأراك) في شعب الجبال

وكان عتبة بن غزوان يقول — إذا ذكر البلاء والشدّة التي كانوا عليها بمكة —

لقد مكثنا زمانا ، ما لنا من طعام الا ورق البشام . أكلناه حتى تقرحت أشداقنا ،

ولقد وجدت يوما تمرّة ، فجعلتها بيني وبين سعد . وما منا اليوم الا وهو

مير على كورة

وكانوا يقولون في من وجد تمرّة تقسمها بينه وبين صاحبه : إن أسعد الرجلين

من حصص التواة في قسمه ، ولو كها طرل يومه وليته من عدم القوت ،

قال (ص) ، لقد رعيت غنيمات أهل مكة لهم بالقرابط ،

أتريدون أمثلة على الاعتداد بالنفس !

جاء (ص) يوما ليدخل الكعبة
فدفعه عثمان بن طلحة العبدري ، — :
فقال — : « لا تفعل يا عثمان ، فكأنك بمفتاحها يدي أضعه حيث شئت ،
فقال — : « لقد ذلت قريش وقلت
قال — : « بل كثرت وعزت ،
وانظروا الى حواراه (ص) مع قريش حين قالت له تفاخروا — :

« أتباعك من هؤلاء الموالي » كبلال وعمار وصهيب ، خير من قصي بن كلاب
وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد شمس ،
فقال — : « نعم ،
والله لئن كانوا قليلا ليكثرن ، ولئن كانوا ضعفاء ليشرفن .
حتى يصيروا نجوما يهتدى بهم ويقبضى فيقال — :
« هذا قول فلان ،
« وذكر فلان ،
فلا تفاخروني بأبائكم الذين موتوا في الجاهلية .
فلما يد هذه الجمل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها .
فاتبعوني أجعلكم أنسابا
والذي نفسي بيده ، لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر ! ،
فقال له عمه أبو طالب — :
« أبق على وعلى نفسك ! ،
فظن النبي أنه خاذله فقال :
« يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر
حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته ، ثم استعبر بأكيا ، ثم قام .
فلما ولي ناداه
أقبل يا ابن أخي
فأقبل

فقال : « اذهب وقل ماشئت ، فوالله لأسليتك لسوء أبداً ! »

أرأيتم خيراً من هذه الامثلة يسوقها الخطيب يعظ بها قومه و يضرب لهم بها
أعلى الامثال ؟

زعموا أنه كان أسد في أجمة ، وكان معه ابن آوى يأكل من غواضل طعامه . فأصاب
الأسد جرب ، وضعف شديد وجهه ، فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى : « ما بالك
ياسيد السباع ، قد تغيرت أحوالك ؟ » قال : « هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له ذواء
إلا قلب حمار وأذناه » قال ابن آوى : « ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حماراً
لقصار يحمل عليه ثيابه ، وأنا آتيك به » ثم دلف إلى الحمار فأثامه وسلم عليه فقال له : « ما
أراك مهزولاً ؟ قال : « ما يطعمنى صاحبي شيئاً فقال له : وكيف ترضى المقام معه على هذا ؟
قال فإلى حيلة فى الحرب منه كلما أتوجه إلى جهة أضربى انسان فكسدتى وأجاعنى قال
ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان ، خصيب المرعى ، فيه
قطع من الخمر لم تر عين مثلها حسناً وسمناً ، قال الحمار : وما يحبسنا عنها ؟ فاضلقت بابن
آوى نحو الأسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار فخرج
إليه وأراد أن يشب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فافلت هلعاً على وجهه ،
فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له : « عجزت ياسيد السباع إلى هذه الغاية ؟
فقال له إن جئتني به مرة أخرى . فلن ينجو مني أبداً . فبضى ابن آوى إلى الحمار فقال
له : « ما الذى جرى عليك ؟ إن أحد الخمر رآك غريباً فخرج يتلقاتك مرحباً بك ولو
ثبت له لآسك ومضى بك إلى أصحابه ؟ فلما سمع الحمار كلام ابن آوى — ولم يكن رأى
أسداً قط — صدقه وأخذ طريقه إلى الأسد فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه
وقال له استعد له فقد خدعتك لك فلا يدركك الضعف فى هذه الثوبة فإنه إن أفلت فلن
يعود معي أبداً . فجأش جأش الأسد لتحريض ابن آوى وخرج إلى موضع الحمار فلما
بصر به عاجله بوثة افترسه بها ثم قال

« قد ذكر الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهور ، فاحتفظ به حتى أعود

فأكل قلبه وأذنيه وأترك ما سوى ذلك لك قوتا فلما ذهب الأسد ليغتسل ، عمد ابن آوى إلى الخمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد منه فلا يأكل منه شيئا ثم إن الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى :-
 أين قلبه وأذناه ؟ فقال له :-
 ألم تعلم أنه لو كان له قلب يفتقه به وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع إليك بعدما
 نجى من الهلكة (١)

أليست هذه مصداق الحديث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين «

ثم ذكر المحاضر امثلة أخرى كثيرة ثم ختم محاضراته بقوله :
 فإذا أردت مثل العقوق ومثل الوفاء فأمامك حكاية « أبي صير » وابن قير » وهي في ألف ليلة
 وإذا أردت مثل القضاء والتقدير ، فأمامك حكاية الملك عجيب وهي فيها أيضا
 وإذا أردت مثلا على أن لكل مقام مقالا فاقرا حكاية العم « عمارة » وهي مشهورة
 لا حاجة بالذكرها
 وجماع القول أن القصص وضرب الأمثلة محييان إلى نفوس الكبار والصغار معا
 وهما من خير الوسائل التي يلجأ إليها الخطيب لتقرير فكرة أو مبدأ في أذهان سامعيه ..
 سيد ابراهيم

قَصَصُ نِزَارِطِفَالٍ

بِقِسْمِ
 كَامِلِ كَيْسَانِي

أسلوب جديد في التربية — به أكثر من ٣٥ صورة مشوقة ثم ٣ أقروش تطاب
 من جميع المسكاتب المشهورة ومن عباس افندي عبدالرحمن بشارع خيرت بالقاهرة